وما سواها (403)

لماذا نغيّب علماءنا وعلمهم؟!!

د. صادق السامرائي- الطب النفساني، العراق / أمريكا

العلة تكمن في المزروع بالوعي الجمعي من قِبل الطامعين بوجودنا بأكمله , والذين على مآسينا يبنون سعادتهم ويتمنطقون بالتقدم والديمقراطية وحقوق الإنسان

إنساننا مسلوب الحقوق , ومُصادر القيمة , ولهذا يتم تسفيه إبداعه ومنجزه , فهل وجدت بحثا علميا أو دراسة تستند على مصادر عربية , جميعها تتباهى بأنها ذات مصادر أجنبية ونشرت في إصدارات أجنبية , والذي يقدم إنجازا يحسب خارجا عن الملة , ومن المصابين بلوثة عقلية.

عندما أتابع مسيرتنا منذ بداية القرن التاسع عشر , وركام الأفكار وأعداد المفكرين وما قدموه من مشاريع ورؤى وتطلعات , أصاب بالدهشة والذهول , لأن منجزاتهم تنام في كتب منضدة في رفوف ظلماء , ولا يقترب منها سُراة مجتمعاتنا ولا يعرفونها , وكأنها ذهبت مع الريح

النهضويون والمفكرون والفلاسفة وأمثالهم يتحدث واحدهم عن مشروعه الذي يحسبه هو الجواب على سؤال

كتبتُ عن هذا الموضوع العديد من المقالات والتحليلات , والعلة تكمن في المزروع بالوعي الجمعي من قِبل الطامعين بوجودنا بأكمله , والذين على مآسينا يبنون سعادتهم ويتمنطقون بالتقدم والديمقراطية وحقوق الإنسان , وإنساننا مسلوب الحقوق , ومُصادر القيمة , ولهذا يتم تسفيه إبداعه ومنجزه , فهل وجدت بحثا علميا أو دراسة تستند على مصادر عربية , جميعها تتباهى بأنها ذات مصادر أجنبية ونشرت في إصدارات أجنبية , والذي يقدم إنجازا يحسب خارجا عن الملة , ومن المصابين بلوثة عقلية.

ذات يوم كنت في العيادة الخارجية في مستشفى الكرامة التعليمي ببغداد , وإذا بإمرأة ومعها شاب متوقد الذكاء , وهي تقول : دكتور هذا مجنون , يخترع آلات وأدوات عجيبة , ويمكنه تصليح أي عطل في أي ماكنة في المصانع الحكومية والخاصة.

وكان جاري في مدينتي , نابغة في تطوير وإبتكار المحركات وآلات رفع المياه , ولديه قدرة عجيبة على الرسم , وكان يسمى المجنون!!

فهل كنا مجانين أيام العصر العباسي الذهبي؟

عندما أتابع مسيرتنا منذ بداية القرن التاسع عشر , وركام الأفكار وأعداد المفكرين وما قدموه من مشاريع ورؤى وتطلعات , أصاب بالدهشة والذهول , لأن منجزاتهم تنام في كتب منضدة في رفوف ظلماء , ولا يقترب منها سُراة مجتمعاتنا ولا يعرفونها , وكأنها ذهبت مع الريح.

لا أظن أن قائدا سياسيا قد قرأ ولو صفحة واحدة من كتاب الكواكبي "طبائع الإستبداد..."!!

وهذه بعض الإقترابات التي أشرت بها إلى ما تفضلت به من سؤال , وإن تباينت موضوعاتها لكنها تبحث في ذات الجوهر المأساوي الذي نتمسك به:

أولا: مشروعي أو لا مشروع!!

النهضويون والمفكرون والفلاسفة وأمثالهم يتحدث واحدهم عن مشروعه الذي يحسبه هو الجواب على سؤال "لماذا نأخرت أمتنا" , ويرى أن مشروعه الأمثل والأصوب والأقوم , وغيره لا قيمة له ولا أثر.

وفي هذا السلوك يؤكدون على تطرفهم ومغالاتهم , فلا فرق بينهم والحركات والمجاميع التي ينتقدونها , ويكررون نداءات الإصلاح الديني وإعمال العقل في النص الديني.

إنهم متطرفون بصدق وإخلاص , ونشاطاتهم لا تختلف عن أية حركة متطرفة يتوهمون بأنهم يفندونها , وكأنهم ينهون عن أمر ويأتون بمثله.

أمتنا فيها مشاريع أكثر من الأمم الأخرى , وهي عبثية لاقيمة عملية لها ولا دور في صناعة الحياة الحرة الكريمة.

فمنذ مطلع القرن التاسع عشر ونحن في دوامة المشاريع الإصلاحية بأنواعها وبرموزها المعروفين , ولا

تزال تدور في أفلاك ما قالوه , وحمل رايات دعواتهم التي ما قدمت شيئا عمليا أكثر من الرؤى والتصورات , فمشاريعهم كلامية بحتة , وعلى الورق , وبين طيات الكتب المركونة على رفوف النسيان والإهمال , بلغتها المرهونة بعصرها.

ولو جمعت كتبهم لوجدتها تملأ مكتبة كبيرة , فهي بالآلاف ولا شيئ غير الكتب الخالية من التأثير , والتي يتداولها مَن يسيرون على خطاهم ويعيدون ذات الآليات والتفاعلات الخائبة.

ترى مالفرق بين مفكري الأمة وغيرها من الأمم؟

إن القاسم المشترك لمفكري أمتنا أنهم ينحشرون بالدين , ويحسبونه السبب لما تعاني منه الأمة كامن بالدين , الذي عليه أن يتجدد ولا يدركون ما يقصدونه بالتجديد ولهذا ما جددوا , بل تسببوا بتداعيات فئوية وتفاعلات خسرانية مروعة.

كما أنهم منشغلون بموضوع التراث والمعاصرة , وهي إسطوانة تعبت الأجيال من سماعها , وكأن أمتنا لوحدها عندها دين وتأريخ , والأمم الأخرى مولودة من رحم اللاشيئ.

ووفقا لما يقومون به فأنهم يتسببون بأضار جسيمة للأمة , وما أسهموا في نهوضها وتطوير أحوالها.

وعليهم أن يتحرروا من هذه الرؤى والتصورات البائدة , وينتقلوا إلى ميادين بناء الحياة الحرة الكريمة اللازمة لتواصل الأجيال بطاقاتها الإنسانية الأصيلة , فأمتنا مؤهلة لحاضر أقوى ومستقبل أجمل.

إن أي محاولة لتبرير الحاضر بمفردات الماضي سلوك تقهقري إندحاري تدميري شديد , فالمطلوب النظر بعيون الحاضر والتأمل ببصيرة المستقبل , بعيدا عن معطيات "كان وقال"!!

بعقولٍ فاعلتْ كلّ العقولِ
أطلقتء جيلا رهيناً بالسفولِ
قرأتْ روحَ وجودٍ مُستطابٍ
وتواصَتْ برفودٍ وقبولِ
أمّة الإشراقِ دامتْ في ذراها
تمنحُ الأيامَ سُلاّفَ الأصولِ

ثانيا: المحق والإمحاق!!

إذا قيل أنها لعبة عبثية تدور في ديارنا , إحتج الكثيرون , فالأدلة عليها متواترة لا تنتهي , فمنذ بداية العهد الجمهوري وسلوك اللاحق يمحق السابق هو ديدن أنظمة الحكم.

فما يشيده السابق يمحقه اللاحق , وبعد أن يتعب من إقتلاع ما يشير إلى سابقه , تبدأ آليات وقوى محق ما شيده بالتنامي , فيتغير النظام وتعاد الكرة مرة أخرى وهكذا دواليك.

كُتب عن ذلك الكثير منذ بداية الألفية الثالثة, وما نفعت الكتابات, فمسيرة المحق تمضي على قدم وساق, بل وتطورت لتشمل محق الشواهد التأريخية بأنواعها, وفقا لإنحرافات عقائدية عدوانية على العروبة والدين.

إنه المحق المتبادل , فماذا يُرتجى من هذه السلوكيات؟

إنه الخراب والفساد والإستلاب!!

فلماذا يُلام السارقون الذين يحسبون البلاد والعباد غنيمة يفترسونها بموجب فقه الغنيمة وفتاواها.

فالوطن ضمير مستتر تقديره هو , ولن تجد ما يذكّر بالقيم الوطنية والأخلاق السامية , فهذه موضوعات خداعية يجب أن تزال من وعي الأجيال الوافدة.

إنها لعبة ما بعدها لعبة , وبيادقها المُغفلون والتابعون والمشمولون بما ينهبون.

تلك أنظمة حكم يتولاها "العشتية" , و"شر البلية ما يُضحك" , ولن ينفع الكلام , فالقطار يسير بسلام , وتحرسه قوى الإجرام والآثام.

وإن الحلال حرام!!

"لماذا تأخرت أمتنا" , ويرى أن مشروعه الأمثل والأصوب والأقوم , وغيره لا قيمة له ولا أثر

أمتنا فيها مشاريع أكثر من الأمم الأخرى , وهي عبثية لاقيمة عملية لها ولا دور في صناعة الحياة الحرة الكريمة

ترى مالفرق بين مفكري الأمة وغيرها من الأمم؟
إن القاسم المشترك لمفكري أمتنا أنهم ينحشرون بالدين , ويحسبونه السبب لما تعاني منه الأمة كامن بالدين , الذي عليه أن يتجدد ولا يدركون ما يقصدونه بالتجديد ولهذا ما جددوا

كما أنهم منشغلون بموضوع التراث والمعاصرة , وهي إسطوانة تعبت الأجيال من سماعها , وكأن أمتنا لوحدها عندها دين وتأريخ , والأمم الأخرى مولودة من رحم اللاشيئ

إن أي محاولة لتبرير الحاضر بمفردات الماضي سلوك تقهقري إندحاري تدميري شديد , فالمطلوب النظر بعيون الحاضر والتأمل ببصيرة المستقبل , بعيدا عن معطيات "كان وقال"!!

المحق والإمحاق!!
إذا قيل أنها لعبة عبثية تدور في ديارنا , إحتج الكثيرون , فالأدلة عليها متواترة لا تنتهي , فمنذ بداية العهد الجمهوري وسلوك اللاحق يمحق السابق هو ديدن أنظمة الحكم

فما يشيده السابق يمحقه اللاحق , وبعد أن يتعب من إقتلاع ما يشير إلى سابقه , تبدأ آليات

وقل زهق الحق والباطل إمام!!

ثالثا: الإندثارية!!

إندثر: دثر

دثر: زال , إمّحى , قَدِم ودَرس.

قامت ثورة في مصر وحافظت على معظم التراث الملكي , وفي إيران حافظوا على مخلفات نظام الشاه , وما دمروا قصوره ومعالم نظامه , بل تحولت إلى متاحف وشواهد على عصر عاشته الأمة.

في فرنسا لايزال قصر فرساي معلما تأريخيا وسياحيا يمثل مسيرة أمة ويرمز لحقبة زمنية مرت بها فرنسا.

وفي العراق قامت ثورة ومحقت كل ما يمت بصلة للعائلة الملكية إلا فيما ندر.

كيف نفسر هذا السلوك الغريب المتكرر؟

لاحقنا يجتث سابقنا , وجديدنا يسحق قديمنا , والعداء بين أيامنا يتفاقم , والبلاد والعباد في دوامة تقهقر وإنحسار.

ظاهرة فاعلة في واقعنا وهي على أشدها في الوقت الحاضر , وذات مفردات غريبة وتوجهات شعوبية صارخة , تسعى لإجتثاث ما يمت بصلة للبلاد والعباد والأمة , فصارت اللغة العربية التي هي الجوهر والهوية مستهدفة , والتماحقية رسالة مقدسة ذات جذور عدوانية غابرة , ترسخها التأويلات والتفسيرات والإدعاءات المغرضة ذات الأهداف المناوئة لمعني وجودنا الأصيل.

هل أن فقدان قيمة الوطن هي السبب؟

هل التنصل من المسؤولية لها دور؟

أم أن العبثية والجهل والأمية والظلم والحرمان في قفص الإتهام؟

عدوانيتنا على ما يتصل بنظام الحكم في بلادنا لا مثيل له في دول الدنيا!!

فهل نحن أعداء وجودنا؟!!

ترى متى نتعلم ونعيش عصرنا؟

عقولٌ في تطرّفها تآوَتْ

تبرْمِجها المصالحُ كيفَ شاءتْ

بلا وطنٍ ولا شعبٍ هُداها

غنائمُ أرضنا مُلكاً أرادتْ

مَجاميعٌ مُسيّسةٌ وتَسعى

بتقليدٍ يوجّهها فخابتْ

تماحقتِ الشواهدُ في رُبانا

سوابقُها بلاحِقها تهاوَتْ

رابعا: الأجيال المتنافرة!!

أجيالنا تبدو وكأنها في حالة تنافرية متواصلة , مما تسبب بدفع المسيرة إلى الحفر الظلماء والمهاوي الدهماء , التي تستنقع فيها وتتناحر , حتى تغيب بلا مشاركة إيجابية في بناء الحياة.

وهذا التنافر التناحري يبدو جليا في العمارة والبناء , إذ تجد القديم يُنسَف نسفا شديدا , والجديد ينهض متهاويا مجردا من طاقات التعبير عن الأجيال , بينما في المجتمعات التي تتفاعل فيها الأجيال , تتكاتف البنايات القديمة مع الحديثة , والحاضر وليد طبيعي مكتمل من رحم الماضي القريب المولود من رحم ما قبله.

ولهذا فأن الأجيال في تلك المجتمعات تتفاخر ولا تغمط حقوق بعضها , وكل جيل يعتز بالجيل الذي سبقه ويثمن جهوده ويحفظها ويبني عليها.

وقوى محق ما شيده بالتنامي , فيتغير النظام وتعاد الكرة مرة أخرى وهكذا دواليك

مسيرة المحق تمضي على قدم وساق , بل وتطورت لتشمل محق الشواهد التأريخية بأنواعها , وفقا لإنحرافات عقائدية عدوانية على العروبة والدين.

الوطن ضمير مستتر تقديره هو , ولن تجد ما يذكّر بالقيم الوطنية والأخلاق السامية , فهذه موضوعات خداعية يجب أن تزال من وعي الأجيال الوافدة

الإندثارية!!
إندثر: دثر
دثر: زال , إمّحى , قَدِم ودَرس

ظاهرة فاعلة في واقعنا وهي على أشدها في الوقت الحاضر , وذات مفردات غريبة , وتوجهات شعوبية صارخة , تسعى لإجتثاث ما يمت بصلة للبلاد والعباد والأمة

هل أن فقدان قيمة الوطن هي السبب؟
هل التنصل من المسؤولية لها دور؟
أم أن العبثية والجهل والأمية والظلم والحرمان في قفص الإتهام؟

أجيالنا تبدو وكأنها في حالة تنافرية متواصلة , مما تسبب بدفع المسيرة إلى الحفر الظلماء والمهاوي الدهماء , التي تستنقع فيها وتتناحر , حتى تغيب بلا مشاركة إيجابية في بناء الحياة.

هذا التنافر التناحري يبدو جليا في العمارة والبناء , إذ

وتجد روحية التواصل حية في السلوك اليومي للناس , إبتداءً بالأطفال الذين يمثلون المستقبل , وآليات الإهتمام بهم والحرص على نشأتهم , وضخهم بالمعارف الضرورية للبناء الأرقى , وتحميلهم الرسائل التي لم تكتمل بعد.

وفي السلوك التفاعلي للأجيال يتحقق التكامل الحضاري اللازم لمسيرة الحياة , ونموها والإنطلاق بها نحو آفاق أرحب.

فالحياة نهر دفاق الجريان تتكاتف أمواجه لإدامة التيار , والحفاظ على قدرات التجدد والنماء , والتفاعل مع معطيات المكان والزمان.

ولكل جيل دوره وأثره في صناعة عمارة الحياة , وبموجب التراكم المتجدد تمضي مواكبها ويتحقق البقاء , وتنتفي الإندثارية النكراء.

وفي بعض المجتمعات تصاب الأجيال بالسكتة الحضارية , التي بموجبها تتحرك وفقا لرؤى الأموات , وتتوقف عن الإضافات الحية , مما يتسبب بتنامي أسباب الذبول , ونراه واضحا في معالم الأبنية وغيرها من الشواهد التي أكلها الزمن , وما نالت العناية والإدامة , وهذا ينطبق على مناحي الحياة المتنوعة , ويأتي في مقدمتها العقل الذي أصبح إندثاريَ الطباع والمواصفات.

فهل للأجيال أن تتكاتف؟!!

خامسا: لا نحاول الفهم ونجيد الحكم!!

هذه ظاهرة سلوكية سائدة في المجتمعات المتدحرجة إلى الوراء , والتي تمترست أدمغتها في كينونات متصاغرة مدثرة بأغطية عاطفية ومتاريس إنفعالية سميكة , لا تسمح لها بالخروج منها والإطلال على ما حولها , وإنما الظلماء بيئتها ومحيطها ومنها تستقي رؤاها وتصوراتها , وتحسب ما تراه هو الحياة والحقيقية والوجود بأسره.

مجتمعات مبرمجة وفقا لمنطلقات إندثارية ومهارات إذلالية تخنيعية تساهم بزجها في أنفاق التبعية والإنقيادية والإستعبادية , وتعطيل العقل ومصادرة الإرادة وترسيم السلوك وفقا لمقتضيات مصالح القوى المفترسة لها , والتي تسعى لتعميتها ومنعها من الإبصار والنظر المبين.

مجتمعات إنغرست فيها الممارسات الإنعكاسية وردود الأفعال المدججة بالكراهية والبغضاء , والمسلحة بالعدوانية والإنقضاضية الخسرانية على ذاتها وموضوعها , وهي تمضي في دروب الإتلاف منوّمة وثملة بخمور الأضاليل وسلاف البهتان.

مجتمعات لا تريد أن تفهم أو ترى وتعي وتسمع , وإنما هي تدري ومنها تُستقى المعارف وعندها الأدلة والبراهين , فعقولها المسخرة لتبرير إنفعاليتها في أوج نشاطاتها , وتغذيها قدرات إمتهانية ذات توصيفات لا بشرية , وما عليها إلا أن تتبع وتتبارك وتتخضع وتتوسل لكي يرحمها ربها الذي لا تدريه ولا تعرفه , وتتصوره وفقا لتوصيفات العابثين بمصيرها والمستحوذين على إرادتها , من المارقين الذين يتمتعون بحياتهم على حساب حياتها , لكنها راضية قنوعة متفاخرة بقوة إذلالها وخنوعها المجيد.

مجتمعات معبأة بعتاد الحكم المسبق على الآخرين الذين لا يتوافقون ونمطية رؤوسها وحجرية أدمغتها , وسذاجة عقولها المهمشة الممنوعة من الصرف , والمحرم عليها أن تفكر أو تؤمن بأنها مخلوقات عاقلة ذات إرادة حرة وقدرة على التواصل مع معتقدها وربها , ولا تحتاج إلى وسيط أو دجال يوهمها بأنه يقربها زلفى إلى ربها الذي لا تعرفه , وهو الأعرف والأدرى به وعليها أن تصغي وتستكين لرغباته , وما ينطق به من خزعبلات ويأتي به من سفاهات ويمارسه من الحماقات ويتطلع إليه من التفاهات.

مجتمعات مكهربة بالأضاليل والهذيانات البهتانية , لكنها في وهم الدراية والمعرفة والتفوقية وأنها الأعرف وعليها أن تُصدر الأحكام , وتحسب رأيها مسك الختام , وبهذه التفاعلية الأمية تساهم في رعاية التداعيات الجسام.

تجد القديم يُنسَف نسفا شديدا , والجديد ينهض متهاويا مجردا من طاقات التعبير عن الأجيال , بينما في المجتمعات التي تتفاعل فيها الأجيال , تتكاتف البنايات القديمة مع الحديثة

في السلوك التفاعلي للأجيال يتحقق التكامل الحضاري اللازم لمسيرة الحياة , ونموها والإنطلاق بها نحو آفاق أرحب

لكل جيل دوره وأثره في صناعة عمارة الحياة , وبموجب التراكم المتجدد تمضي مواكبها ويتحقق البقاء , وتنتفي الإندثارية النكراء

في بعض المجتمعات تصاب الأجيال بالسكتة الحضارية , التي بموجبها تتحرك وفقا لرؤى الأموات , وتتوقف عن الإضافات الحية , مما يتسبب بتنامي أسباب الذبول

لا نحاول الفهم ونجيد الحكم!! هذه ظاهرة سلوكية سائدة في المجتمعات المتدحرجة إلى الوراء , والتي تمترست أدمغتها في كينونات متصاغرة مدثرة بأغطية عاطفية ومتاريس إنفعالية سميكة

مجتمعات مبرمجة وفقا لمنطلقات إندثارية ومهارات إذلالية تخنيعية تساهم بزجها في أنفاق التبعية والإنقيادية والإستعبادية , وتعطيل العقل ومصادرة الإرادة وترسيم السلوك وفقا لمقتضيات مصالح القوى المفترسة لها

مجتمعات معبأة بعتاد الحكم المسبق على الآخرين الذين لا يتوافقون ونمطية رؤوسها

وفي جوهر سلوكياتها أنها تعبّر عن مذهب " ذهبت أصنام وجاءت أصنام" , وما تغيرت الدنيا ولا تحقق المرام , فالأصنام هي الأصنام , والوثنية طاعون الأنام!!

فهل بقيت قيمة للإنسان أو بعض إحترام؟!!

سادسا: نفخر ولا نفخر!!

لا نفخر بإنجازاتنا بل بما حققه أجدادنا , والفخر تباهي بالخصال الحسنة والمكارم وغيرها , والفخر من أغراض الشعر , وبرز العديد من الشعراء بقصائد الفخر.

ومن شعر الفخر:

"نحن وإن جار الزمان لبرهة...نبقى الكبار وغيرنا أقزام"

"وهكذا كنت في أهلي وفي وطني.. إن النفيس غريبٌ حيثما كانا"

"ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا...وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا"

"ألا لا يجهلن أحدٌ علينا...فنجهل فوق جهل الجاهلينا"

وفي واقعنا أضحى الفخر بالمساوئ والتفاعلات السلبية يشير للبطولة والقوة والبسالة , ومضينا نتفاعل مع نتائج الأحداث دون النظر فيها وسبر أغوارها.

ومثالنا ما حصل في يوم (14) تموز (1958) , فأصبحنا نقتدي به , وترسخ في وعينا الجمعي أن أي تغيير لا بد أن يكون دمويا ومتوحشا , لا يعرف الرحمة والتسامح , بل لابد من الإقتلاع والإجتثاث , وتطهير المكان مما كان.

فلا قيمة لوطن , ولا لحكومة , ولا لرئيس , ولا لرمز علمي أو معرفي , فالبطش هو السلطان , والدمار والخراب عنوان , والديدن العنفوان.

ومنذ ذلك التأريخ وتفاعلاتنا تمضي في دائرته المفرغة ولا تزال تدور , وتسحق وجودنا , وتأكل الأخضر واليابس , ونحن في محنة الغثيان , والتداعي في خنادق الذي كان , وما برح المكان.

فهل سنخرج من قبضة العدوان على بعضنا ونعترف بقيمة الإنسان؟

سابعا: بماذا نفاخر؟!!

الفخر: إظهار المكارم والفضل

فهل لدينا ما نفخر به على الآخرين؟

إذا قلنا بالشعر فعندهم أحسن منه , بالأغنية لديهم أجمل من أغانينا , بآثارنا , دمرناها وبعناها وهم الذين حافظوا عليها وأظهروها للدنيا.

بمدننا , فمدنهم أجمل من مدننا , وأكثر معاصرة ومدنية.

بمدارسنا وجامعاتنا , وهي دون مقاييس التعليم المنضبط , ولديهم الأرقى والأقدر.

بنعمة النفط التي حولناها إلى نقمة علينا؟

بمكتشفاتنا ومخترعاتنا , ونحن من هذا وذاك صفر اليدين!!

بديننا ومعتقداتنا, فالبشر عندهم أديانهم ومعتقداتهم, وما تفاعلوا معها مثلما تفاعلنا فحولنا نورها إلى نار.

علينا أن نواجه أنفسنا بصدق وجرأة!!

نحن مجتمعات بالونية , تتمنطق بما ليس فيها , وتستند على سراب وتصورات لا تساهم في إطلاق الطاقات , وتميل للتخميد والترقيد وتأكيد التبعية والخنوع.

لا نملك شيئا ونتوهم إمتلاك كل شيئ.

لا نستطيع إطعام أنفسنا بأنفسنا , ونعتمد على غيرنا لإطعامنا , وندعي السيادة والحرية والكرامة , ونجيد قتال بعضنا بإسم الدين والوطن!!

وحجرية أدمغتها , وسذاجة عقولها المعمشة الممنوعة من الصرف , والمحرم عليها أن تفكر أو تؤمن بأنها مخلوقات عاقلة ذات إرادة حرة وقدرة على التواصل مع معتقدها وربها

مجتمعات مكهربة بالأضاليل والهذيانات البهتانية , لكنها في وهم الدراية والمعرفة والتفوقية وأنها الأعرف وعليها أن تُصدر الأحكام , وتحسب رأيها مسك الختام , وبهذه التفاعلية الأمية تساهم في رعاية التداعيات الجسام

لا نفخر بإنجازاتنا بل بما حققه أجدادنا , والفخر تباهي بالخصال الحسنة والمكارم وغيرها , والفخر من أغراض الشعر , وبرز العديد من الشعراء بقصائد الفخر

في واقعنا أضحى الفخر بالمساوئ والتفاعلات السلبية يشير للبطولة والقوة والبسالة , ومضينا نتفاعل مع نتائج الأحداث دون النظر فيها وسبر أغوارها.

ترسخ في وعينا الجمعي أن أي تغيير لا بد أن يكون دمويا ومتوحشا , لا يعرف الرحمة والتسامح , بل لابد من الإقتلاع والإجتثاث , وتطهير المكان مما كان.

الفخر: إظهار المكارم والفضل
فهل لدينا ما نفخر به على الآخرين؟
إذا قلنا بالشعر فعندهم أحسن منه , بالأغنية لديهم أجمل من أغانينا , بآثارنا , دمرناها وبعناها وهم الذين حافظوا عليها وأظهروها للدنيا

لماذا لا نكون صريحين , وواضحين , فالحياة في العمل , لا بالأقوال والتفاعلات الأنانية النرجسية والهذيانية , التي تحسب الأموات أحياء والأحياء لا وجود لهم , وإن وجدوا فأدوات أموات!!

علينا أن ندرك أننا لن نبني شيئا بالإبداعات الكلامية أيا كان نوعها ومنهجها , إنها نشاطات خداعية تضليلية وعبثية في معظم الأحيان.

فهل لنا أن نعيش في عصرنا , ونتعلم العلم ونعمل به , بدلا من هرطقات الأقلام واللسان؟!!

ثامنا: نتكلم عن بعضنا أم مع بعضنا؟!

من مشاكلنا السلوكية المزمنة , أننا كأفراد وجماعات وأحزاب وغيرها , عندما نتفاعل , لا نتخاطب مع بعضنا وإنما نتكلم عن بعضنا البعض , فننأى كثيرا عن الكلام مع بعضنا. وهناك اختلاف سلوكي نفسي وفكري ما بين أن نتكلم عن بعضنا البعض وبين أن نتكلم مع بعضنا البعض. ففي الحالة الأولى نطلق لسان عواطفنا وانفعالاتنا ونستخدم آلية الإسقاط بعنف وقسوة وإمعان لتحقيق المشاعر السلبية والتعبير عن إرادتها المؤذية , مما يؤدي إلى التخاصم والتشاجر والعدوان والبغضاء , حيث ستنطلق آليات الإنكار والدفاع والتعميم والتبرير والعناد وغيرها من الآليات التي تنتهي بنا إلى حالة الشك المروّع والخوف الشديد من بعضنا, فيضيع الأمان وتفقد الحياة معانيها ومعاييرها اللازمة للبقاء والتفاعل الإنساني الخلاق.

أما عندما نتكلم مع بعضنا , فأننا نعالج موضوعات مشتركة لها علاقة بمصالحنا ومستقبلنا , ويكون جو الكلام معبرا عن هدف واضح وصريح يتطلب منا إعمال العقل والنفس والروح من أجل الوصول إلى أجوبة مفيدة للأسئلة التي يطرحها , وفي آليات التفاعل القائمة عندما نتكلم مع بعضنا , يكون النضج والتفكير السليم متفوقا , فترانا نتسامى ونتحقق ونبتكر ونطلق قدراتا الإيجابية الضرورية لبناء مجتمع مؤثر وسعيد. وفي المجتمعات المتحضرة , تتكلم الناس مع بعضها لا عن بعضها , لأنها قد تجاوزت هذه العلة السلوكية , فالحديث بصيغة "عن" تكون مرحلة أولية للإستعداد للعدوان. فالأعداء يتكلمون عن بعضهم , ولا يريدون الكلام مع بعضهم لأنهم يسعون إلى الحرب لا إلى السلام.

وقد رأينا ذلك واضحا , فعندما أريد الهجوم على العراق , تم قطع جميع السبل المؤدية إلى الحديث معه , وصار الحديث عنه ساخنا ومشحونا بالعواطف والإنفعالات , مما أهّل الرأي العام وجعله ينخدع ويتواطأ مع قرار الهجوم وما أعقبه من تفاعلات سلبية وتداعيات قاسية.

وهذا ينطبق على أي صراع قائم في الأرض , فالمتصارعون يتحدثون عن بعضهم ولا يتكلمون مع بعضهم. وهذا أيضا جرى في العراق , حيث تم التأكيد على الطائفية والفئوية وصارت كل طائفة تتحدث عن الأخرى ولا تتحدث معها , مما أدى إلى تداعيات معروفة ومريرة.

وهكذا فأن الكلام بصيغة "عن" أسلوب عدواني وتفاعل سلبي يؤدي إلى الخسران في المجتمع , أما الكلام بصيغة "مع" فأنه الطريق الأصوب والحالة الأنضج والأنفع لأي مجتمع.

فالطوائف والأحزاب والفئات يجب أن تتكلم مع بعضها البعض لكي تصل إلى صياغة البناء الإجتماعي الوطني , الذي يؤهلها لكي تكون بحجم وطنها.

وعندما نريد وطنا أقوى , وأكثر تأثيرا وعطاءا , فأن علينا أن نتكلم مع بعضنا ونمتنع عن الكلام عن بعضنا , وبهذا نكون أقوى وأحسن.

إن الأخوة والأخوات الذين يتكلمون عن بعضهم البعض , عليهم أن يدركوا هذا الأسلوب السلبي في التفاعل والتخاطب البشري , وأن يترفعوا عن ضيق الأفق ونفقية الرؤية , فالكلام بصيغة عن نوع من الغيبة والنميمة التي تدمر المجتمع وتقضي على قدرات الخير والفضيلة فيه , ووفقا للمعايير الإجتماعية والدينية فأن هذا السلوك غير مقبول لضرره العام وزعزعته لأركان المجتمع.

وخلاصة القول أن أبناء أي مجتمع لكي يساهموا في تقوية مجتمعهم وقدراتهم الوطنية والحضارية لا بد لهم أن يتكلموا مع بعضهم لا أن يتحدثوا عن بعضهم.

علينا أن نواجه أنفسنا بصدق وجرأة!!
نحن مجتمعات بالونية , تتمنطق بما ليس فيها , وتستند على سراب وتصورات لا تساهم في إطلاق الطاقات , وتميل للتخميد والترقيد وتأكيد التبعية والخنوع

لا نملك شيئا ونتوهم إمتلاك كل شيء.
لا نستطيع إطعام أنفسنا بأنفسنا , ونعتمد على غيرنا لإطعامنا , وندعي السيادة والحرية والكرامة , ونجيد قتال بعضنا بإسم الدين والوطن!!

لماذا لا نكون صريحين , وواضحين , فالحياة في العمل , لا بالأقوال والتفاعلات الأنانية النرجسية والهذيانية , التي تحسب الأموات أحياء والأحياء لا وجود لهم , وإن وجدوا فأدوات أموات!!

من مشاكلنا السلوكية المزمنة , أننا كأفراد وجماعات وأحزاب وغيرها , عندما نتفاعل , لا نتخاطب مع بعضنا وإنما نتكلم عن بعضنا البعض , فننأى كثيرا عن الكلام مع بعضنا

أما عندما نتكلم مع بعضنا , فأننا نعالج موضوعات مشتركة لها علاقة بمصالحنا ومستقبلنا , ويكون جو الكلام معبرا عن هدف واضح وصريح يتطلب منا إعمال العقل والنفس والروح من أجل الوصول إلى أجوبة مفيدة للأسئلة التي يطرحها

في آليات التفاعل القائمة عندما نتكلم مع بعضنا , يكون النضج والتفكير السليم متفوقا , فترانا نتسامى ونتحقق ونبتكر ونطلق قدراتا الإيجابية الضرورية لبناء مجتمع مؤثر

وبهذا يكونون أكثر قربا وتفهما لكل منهم , فعندما نتكلم مع بعضنا نبني ثقة وإستقرارا وقدرة على التواصل الأفضل.

تاسعا: التكاتف والتآلف!!

تكاتف: تعاضد , تعاون , تضامن

تآلف: إجتماع على وئام وأخاء ومحبة متبادلة

كنا طلابا في الكلية وزارنا أحد المفكرين المعروفين آنذاك , وكنا جمع من الطلبة نسير خلف مجموعته الحافة به , وبغتة توقف ونظر إلى بنايات الكلية وقال: "بنايات قديمة تتكاتف مع بنايات جديدة , يا ليت أجيالنا كذلك" , ومضت مسيرة التجوال في أروقة الكلية.

في وقتها لم أفهم معنى ما ذكر , لكنها بقيت راسخة في ذاكرتي , ودارت السنون , وتنامى الوعي وتوسع الإدراك , فوجدتني من الجيل الذي يعاني من المعوقات والتحديات التي يجتهد في إبتكارها الجيل السابق , والذي يريد التمترس في مواقعه ولا يعنيه الوطن والمواطنين.

والجيل الذي تسبب بقهرنا وإمتهاننا هو جيل الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين , وأعني بهم الذين تسنموا مواقع سلطوية وتأبطوا كراسي الحكم.

عشنا في زمن لا توجد فيه تسهيلات وتحفيزات بل تعويقات وإحباطات , وإمعان بتدميرنا والقضاء على وجودنا , فالجيل المتمكن من الحكم لا يريد توافد أجيال واعية ذات ثقافة معاصرة ومعارف متنامية , فكان الذي كان منذ ثمانينيات القرن العشرين ولحد الآن.

واليوم ما عادت الأجيال تتصارع وحسب , بل أن الفرقة والنزاع صارا سلوكا متوطنا في كل جيل , وكأن الجيل عبارة عن كتلة متشظية متناثرة فوق التراب الذي سيبتلعها , وهكذا يتم طمر الأجيال بذاتها وبموضوعها , وتحويلها إلى مصدات تمنع جريان الأفكار ونماء الإبداع والعطاء.

بينما مجتمعات الدنيا نهر أجيالها يجري بتدفق وثاب ويسقي مساحات غير مروية من ربوعها ويحولها إلى مروج غناء.

أجيالهم تتكاتف, وأجيالنا تتخالف, وتتناسف, والصراع السلبي ديدنها الفاعل فيها كأنه آفة لا تهجع!!

إذا الأجْيالُ في جيلٍ تطامَتْ

فما بلغَتْ مُراداً حينَ شاءَتْ

تعوّقها مَصدّاتٌ ترامَتْ

وتضْعِفها بقاضيةٍ أبادَتْ

نفوسٌ في كوامِنها وحوشٌ

تمزّقنا بما ابْتكرَتْ وشادَتْ

عاشرا: إبن مسرة وإبن رشد!!

إبن مسرة هو أبو عبدالله محمد بن مسرّة الجبلي , (883 – 931) ميلادية , مفكر ومتصوف أندلسي , وأول فلاسفة الأندلس ومفكر أصيل فيها.

وكان لمنطلقاته دورها في مسيرة الفكر والفلسفة في بلاد الأندلس فيما بعد , وكأنه كان القادح الذي أذكى جذوة الإدراك المعرفي العميق.

وفي سنة (953) ميلادية , أي بعد (22) سنة من وفاته , أحرق الخليفة (عبد الرحمن الناصر لدين الله) كتبه ولاحق أتباعه , لأسباب طائفية وسياسية.

إبن رشد العربي القرطبي (1126–1198) ميلادية , ثائر عقلي وفيلسوف لبيب , عمل جاهدا لإحياء العلوم العقلية , ورفع رايات يعقلون ويتفكرون ويتدبرون , فحاول التوفيق ما بين الشريعة والحكمة , وتحرير العقل من أصفاد التبعية , والإذعانية والخنوع والجمود , ودافع عن العقل ووقف ضد الساعين

وسعيد

في المجتمعات المتحضرة , تتكلم الناس مع بعضها لا عن بعضها , لأنها قد تجاوزت هذه العلة السلوكية , فالحديث بصيغة "عن" تكون مرحلة أولية للإستعداد للعدوان. فالأعداء يتكلمون عن بعضهم , ولا يريدون الكلام مع بعضهم لأنهم يسعون إلى الحرب لا إلى السلام

هكذا فأن الكلام بصيغة "عن" أسلوب عدواني وتفاعل سلبي يؤدي إلى الخسران في المجتمع , أما الكلام بصيغة "مع" فأنه الطريق الأصوب والحالة الأنضج والأنفع لأي مجتمع

الطوائف والأحزاب والفئات يجب أن تتكلم مع بعضها البعض لكي تصل إلى صياغة البناء الإجتماعي الوطني , الذي يؤهلها لكي تكون بحجم وطنها

خلاصة القول أن أبناء أي مجتمع لكي يساهموا في تقوية مجتمعهم وقدراتهم الوطنية والحضارية لا بد لهم أن يتكلموا مع بعضهم لا أن يتحدثوا عن بعضهم.

عشنا في زمن لا توجد فيه تسهيلات وتحفيزات بل تعويقات وإحباطات , وإمعان بتدميرنا والقضاء على وجودنا , فالجيل المتمكن من الحكم لا يريد توافد أجيال واعية ذات ثقافة معاصرة ومعارف متنامية , فكان الذي كان منذ ثمانينيات القرن العشرين ولحد الآن

اليوم ما عادت الأجيال تتصارع

لتدميره وإلغاء دوره , وذاد عن الفلاسفة فرد على كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي (1058 – 1111) ميلادية , بكتاب تهافت التهافت , وتواصل بنشاطاته الفكرية لإستنهاض العقل العربي من غفوته وغفلته , وإطلاق جوهر ما فيه من المكنونات الحضارية.

ويُعدّ إبن مسرة من رواد الفلسفة والعلوم العقلية في بلاد الأندلس , وكان يحاول التوفيق بين الشريعة والفلسفة , وله منهجه في التأويل الذي كان يحسبه بحاجة لذوي عقول فاعلة , ترى باطن النص , وأتاح للعامة النظر في ظاهر النص وحسب , لكي لا يُساء فهم التأويل.

وكان معتزليا ومعتزلا في صومعته في جبل قرطبة , وعندما تم تكفيره غادر إلى مكة , وبعد مدة عاد إلى تلك الصومعة حتى وفاته , وبقي أتباعه يتداولون أفكاره وكتبه , التي أحْرِقَ معظمها بعد وفاته بما يقرب من ربع قرن.

ويبدو أن إبن رشد الذي ولد عقب وفاته بنحو (195) سنة , قد تأثر بمنطلقاته , وعبَّر عنها في طروحاته وكتبه , فموضوع التأويل وإعمال العقل في النص القرآني والتوفيق بين الفلسفة والدين لم تكن من إبداعات إبن رشد لوحده , وإنما من أفكار إبن مسرة , وأبن رشد أحياها وجاهد في سبيلها , ولاقى ذات الإتهام وأحْرِقَت كتبه أيضا.

فلربما يمكن القول أن إبن رشد خريج مدرسة إبن مسرة , والحامل لراية أفكاره وتصوراته ومحاولاته في التقريب بين الفلسفة الدين , وهذا قد يكشف عن منبع التوجهات الرشدية , التي تنسب إليه مقطوعة عن جذورها الأصلية.

وهكذا تتفاعل العقول وتتلاقح لتصنع مسارا منيرا ينفع الأجيال ويزودها بمناعة ضد الظلام والضلال.

وعليها أن تعترف بفضل غيرها عليها , فهل إعترف إبن رشد بفضل إبن مسرة عليه؟

هذه بعض الرؤى التي ربما تبدو بعيدة أو قريبة , لكنها تعالج جوهر السؤال من زوايا متنوعة , وتتواصل بخيط جوهرها , ومنطلق إرادتها , وسعيها لتكاتف الأجيال وإستثمارها في التراكم المعرفي بعيدا عن التماحق المتبادل بينها.

مع الود والتقدير

وحسب , بل أن الفرقة والنزاع صارا سلوكا متوطنا في كل جيل , وكأن الجيل عبارة عن كتلة متشظية متناثرة فوق التراب الذي سيبتلعها

أجيالهم تتكاتف , وأجيالنا تتخالف , وتتناسف , والصراع السلبي ديدنها الفاعل فيها كأنه آفة لا تصبح!!

إبن مسرة هو أبو عبدالله محمد بن مسرّة الجبلي , (883 – 931) ميلادية , مفكر ومتصوف أندلسي , وأول فلاسفة الأندلس ومفكر أصيل فيها

كان لمنطلقاته دورها في مسيرة الفكر والفلسفة في بلاد الأندلس فيما بعد , وكأنه كان القادح الذي أذكى جذوة الإدراك المعرفي العميق

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa403-250326.pdf

**** **** ****

شبكة العلوم النفسية العربية

رقيا بعلوم وطب النفس، لصحة نفسانية افضل

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2026 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع عشر)

الشبكة تدخل عامها 26 من التأسيس و 24 على الويب

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf

كتاب "حصاد النشاط العلمي لمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2025

التحميل من الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet-AlHassad2024.pdf

التحميل من المتجر الإلكتروني
http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=647&controller=product&id_lang=3